المجتمعات الإنسانية بكل زور وغرور، ولكنه ذاهب جفاء، ودولة الحق باقية صارمة.

فالزبد - على أية حال - ذاهب جفاء سواء أكان في أودية القلوب وأوعيتها، إذا كانت مؤمنة حيث الله ينسخ ما يلقي الشيطان ثم يحكم آياته، أم في أودية المجتمعات فإنه زاهق بأدلة الحق، وسوف يزهق من أصله حيث لا يبقى له أثر كما في دولة القائم المهدي من آل محمد صلوات الله عليهم أجمعين.

ولكنما الحق لا بد له من امتحان، وابتلاء، ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ﴾ حيث يوقد على الفلزات الخليطة استخلاصاً لها عن زبدها، كذلك أهل الحق، كلما كانت درجاتهم أعلى فابتلاءاتهم أشد وأنكى، ودوائر السوء المتربصة بهم أكثر وأشجى:

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾[1] ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ - ولتبلبلنّ بلبلة ولتغربلنّ غربلة حتى يعود أسفلكم أعلاكم وأعلاكم أسفلكم! وجماع القول هنا أن النازل من الله - أياً كان - خال من الكدرة والاعوجاج، وناصع ناصح يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم، سواء أكان من الرسل الأنفسية كالفطرة والعقل وسائر الجوانح والجوارح، أم الآفاقية كالرسالات بآياتها وسائر الآيات التكوينية، فإنها كلها هدى خالصة كالماء الخالص النازل من السماء لو أن الإنسان تبنّى فطرته بعقله وعلى ضوء هدي رسالات الوحي وسواها، هداه الله إلى صراط مستقيم: ﴿... قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ

(١) سورة محمد، الآية: ٣١.

﴿إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾[١] ولقد أنزل الله القرآن منذ أربعة عشر قرناً، واحتملت سيول الوديان فردية وجماعية زبداً رابياً ضده، إطفاء لنوره وإخماداً لناره، ولكنه ما لبث بعيداً حتى برز حجة صارمة دحضت كل مكائد السوء ومصائده خالصة عن كل تحريف وتجديف وتزييف ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[٢] [٣].

﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾﴾:

هذه والتسع التالية لها تفريعات وتفريغات للمثل المضروب في سابقتها السابغة، المقتسمة كافة المكلفين إلى زبدة وزبدة، فآية ونصفين للزبدة الطالحة، والباقية للزبدة الصالحة![٤]:

والاستجابة للرب هي تقبل الربوبية بكل بنودها، استجابة لحكم الفطرة التي فطر الله الناس عليها، واستجابة لحكم العقل تبنياً لآيات أنفسية كأصل الفطرة وجاراتها، وأخرى آفاقية استدلالاً بها لمزيد المعرفة، ثم استجابة لندائات الرسالات الإلهية علماً وتصديقاً وتطبيقاً ونشراً وهي الاستجابة الكاملة للرب.

---

(١) سورة المائدة، الآيتان: ١٥، ١٦.

(٢) سورة فصلت، الآية: ٤٢.

(٣) نور الثقلين ٢: ٤٩٢ ح ٧٥ في الاحتجاج للطبرسي عن أمير المؤمنين عليه السلام حديث طويل وفيه: وقد بين الله تعالى قصص المغيرين فضرب مثلهم بقوله: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الرّعد: ١٧] فالزبد في هذا الموضع كلام الملحدين الذين أثبتوه في القرآن فهو يضمحل ويبطل ويتلاشى عند التحصيل، والذي ينفع الناس منه فالتنزيل الحقيقي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والقلوب تقبله، والأرض في هذا الموقع فهي محل العلم وقراره»...

(٤) فالآية هي الـ (٢٥) والنصفين من هذه والتالية، والباقية لغيرهم.

لهؤلاء الأكارم الحسنى، قدر استجابتهم لربهم هنا وفي الآخرة، ولأن ﴿ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ هي تفضيل الأحسن صفة للجزاء أو الحياة[١] وعلّها أحرى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[٢]: فما يعطيه الرب هو أحسن مما يستجيبه العبد: ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾[٣] فالرب يستجيب قدر ما يستجيبه العبد، استجابة لدعائه في توبة وسواها من كل ما يحيي الإنسان بعد موته، و﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[٤].

فـ ﴿ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ الجزاء للاستجابة هي الحياة الحسنة الطيبة أحسن من الاستجابة، دون ضياع: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾[٥] وكشف الضر: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ...﴾[٦].

والخطوة الأولى لاستجابة الرب هي السمع لما يقول، سمع الجوارح والجوانح وإنما ذلك للأحياء: ﴿۞ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾[٧] والموتى هم الذين يتبعون أهوائهم: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ

---

(١) قد جاءت الحسنى وصفاً للجزاء في آيات عدة ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الكهف: ٨٨] ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾ [فُصّلَت: ٥٠] ﴿وَيَجْزِى ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى﴾ [النّجْم: ٣١] وجاءت مطلقة كآية الرعد هذه و﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يُونس: ٢٦] والحسنى المطلقة تعم الجزاء وغيرها فهي الحياة الحسنى، تعني أحسن من حياته قبل الإحسان، فهي تعم الآخرة والأولى.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٢٤.

(٣) سورة الشورى، الآية: ٢٦.

(٤) سورة يونس، الآية: ٢٦.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٩٥.

(٦) سورة الأنبياء، الآية: ٨٤.

(٧) سورة الأنعام، الآية: ٣٦.

لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[١].

وكما من الحياة الحسنى هي الحاضرة، كذلك وبأحرى هي المستقبلة العاقبة في مثلث الحياة دنياً وبرزخاً وعقبى وهي أحرى وأبقى ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾﴾[٢].

ثم ﴿وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ﴾ وهم موتى الفطر والعقول والقلوب، فعقباهم الأخرى نكبة نكدة خاسرة حاسرة لحد ﴿لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ﴾ من عذاب يوم القيامة، ولكنها لا تقبل منهم، استحالة على أخرى، ظلمات بعضها فوق بعض بما قدمت أيديهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٣] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ﴾ وهو الحساب الدقيق غير الرفيق، حسناً في ميزان العدل وسوء في ميزان المحاسب حيث يرجو التخفيف والتطفيف، إذا فهو «أن لا تقبل لهم حسنة ولا تغفر لهم سيئة»[٤] حيث الحسنات حابطة والسيئات خابطة لا يعفى عنها أو يخفف.

فمن الناس من لا يحاسب وهم السابقون والمقربون وأصحاب اليمين ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾﴾[٥] ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم

(١) سورة القصص، الآية: ٥٠.
(٢) سورة النجم، الآيات: ٣٩-٤١.
(٣) سورة المائدة، الآية: ٣٦.
(٤) المجمع في الحديث، من نوقش في الحساب عذب وقيل هو: . . . وروى ذلك عن أبي عبد الله عليه السلام.
(٥) سورة المدثر، الآيتان: ٣٨، ٣٩.

بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[١] ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[٢] ﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ﴾[٣].

ومنهم من يحاسب حساباً فضلاً حسناً حيث تقبل حسناتهم ويعفى عن سيئاتهم جميعاً أو بعضاً أو يخفف عنهم، وهم بين أصحاب اليمين وأصحاب الشمال: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩﴾[٤].

ومنهم من يحاسب سوء الحساب وهم أصحاب الشمال: ﴿فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا﴾[٥].

﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ وهو من مخلّفات سوء الحساب فإنه سوء العذاب: ﴿سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾[٦] ويقابله ترك العذاب عفواً أم حسن العذاب تخفيفاً.

﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝١٩﴾:

علم مختار بما اختار من الذرايع إليه، تذّرعاً بسليم الفطرة والعقل، وتضرعاً إلى الله أن يهديه سواء السبيل، استبصاراً بالآيات الآفاقية والأنفسية، وتدبراً في آيات القرآن نفسه، فعلما أنه الحق من ربّك دون باطل أو مزيج منه، فهذا هو البصير، البصير ذو عقل وفير، ولب غفير، دون الأعمى الذي يتعامى عن آيات الحق، فيعمي على نفسه وسواه وجه الحق، فإنما يتذكر بذكرى الآيات أولوا الألباب فيعلمون أنها الحق من ربك، وإنما

(١) سورة الزمر، الآية: ١٠.
(٢) سورة غافر، الآية: ٤٠.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ٦٩.
(٤) سورة الإنشقاق، الآيات: ٧-٩.
(٥) سورة الطلاق، الآية: ٨.
(٦) سورة الأنعام، الآية: ١٥٧.

يتذكر البون الشاسع بين العالم بحقها والجاهل بها أولوا الألباب الذين زالت القشور عن عقولهم وقلوبهم.

قشور الهوى وغشاواتها الغاشية لنور العقل والفطرة هي التي تحجبها عن البصيرة إلى العمى، وعن الهدى إلى الردى، وكما الأغشية الحاجبة للبصر تغشاه عن إدراك المبصر، كذلك البصيرة المحجوبة بغشاواتها مغشية عن إدراك الحقائق رغم بهورها وظهورها، فتصبح بذلك العقول معقولة بقيود الهوى، والقلوب مقلوبة عن نور الهدى، فصاحبها - إذاً - أعمى في بصيرته، مظلم في سريرته، فهو بدل أن يعلم انما أنزل إليك من ربك الحق، يجهل حقه أو يدعى العلم بباطله، ويخوض في آياته خوض المبطلين المضللين، فما ألطفه تعبيراً تقابل الأعمى بمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق، أسلوب بارع منقطع النظير في هذا الكتاب البشير النذير، في لمس القلوب وتجسيم الفروق بين السوي منها والمقلوب، فالناس أمام هذه الحقيقة الكبرى فريقان، مبصرون فهم يعلمون، وعمي فهم لا يعلمون، فإنهم في عمى البصيرة فلا يبصرون، مهما قويت أبصارهم فيما يشتهون، عائشون في انطماس المدارك واستغلاق القلوب وانطفاء قبسات المعرفة الروحية، وانفصالها عن مصدر الإشعاع.

فالذين استجابوا لربهم لهم حسنى الحياة المعرفية إذ يعلمون أنما أنزل إليك من ربك الحق، وحينما يستقر الحق في عقولهم وقلوبهم تصبح ألبابا فوق ما كانت، ناظرة بنضارة الحق، مبصرة ببصيرة اللب.

للإنسان فطرة وعقل وقلب، ولكلّ لب خالص عن غشاوات، ومزيج أجيج من غشاوات الجهالات والشهوات، والسالك سبيل الحق لا بد له من لب في هذه السبيل حتى يبصر الحق فيتبعه، ويبصر الباطل فيجتنبه، فإنما المتذكرون للحق هم أولوا الألباب: الذين لهم ألباب العقول والقلوب، مدركة متذكرة متفكرة.

﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾﴾:

فهذه واللتان بعدها مواصفات لأولي الألباب، وحجر الأساس فيها هو الوفاء بعهد الله وعدم نقض الميثاق، فوصل ما أمر الله به أن يوصل، وإقام الصلاة، والإنفاق مما رزقوا، ودرء السيئة بالحسنة هي من مخلفات الوفاء بعهد الله.

كما خشية الرب والخوف من سوء الحساب والصبر ابتغاء وجه الرب هي من خلفيات عدم نقض الميثاق، وعهد الله هنا مطلق بين قديم الفطرة وهو الميثاق المأخوذ على ذرية بني آدم، ثم بين العقول التي تتبنى الفطرة، رسولان ذاتيان داخليان متجاوبان مع الرسل الخارجية، ومن ثم بين جديد الرسالة مع الرسل الذين بعثوا لتجديد الإيمان وتجويده تذكراً بما في عهد الفطرة.

والسبيل الوحيدة إلى الوفاء بمثلث العهود هو تخليص الفطرة والعقل عما يحجبها، والإخلاص إلى خالص الشرع دونما خلط فيه مما ليس منه، وهذا هو اللبّ.

وكلما استحكم العهد بوفائه في ميثاقه ابتعد عن النقص والنقض، فـ ﴿يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾ ينتج: ﴿وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ﴾ كما ﴿وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ﴾ ينتج: ﴿يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾ فإنهما متعاملان متجاوبان في أولي الألباب.

أولوا الألباب مذكورون في (١٦) موضعاً من الذكر الحكيم، وفي كلها تختص بهم الذكرى والعبرة فالتقوى[١] إذا فلا ذكرى ثم عبرة ثم تقوى إلّا لأولي الألباب، ولغيرهم النسيان والطغوى، فإن إنارة العقل مكسوف بطوع الهوى، ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾[٢].

(١) فالتقوى لهم في: ٣: ١٧٩ - ١٩٧، ٥: ١٠٠، ٦٥: ١٠ والعبرة بالآيات ٣: ١٩٠، ١٢: ١١١، ثم فيما سواها العشر الذكرى!

(٢) سورة الحج، الآية: ٤٦.

إن الغشاوات الحاجبة للفطر والعقول تغشوهما عن ذكرى الحق في كل الحقول، عبرة بآياته، فتقوى في غاياته، فعملية السلب أصعب من الإيجاب، حيث الرسل الذاتية لا غبار عليها ولا ستار في ذواتها، فإنما على السالك سبيل الهدي أن يقيم وجهه للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها، بتأمل فيه عقلياً، وتعمّل في طرد ما ينافيه حتى لا يطرئه، وإزالة الطارئ ولكي يجلو ويشفّ ويعفّ عما يطارده ويستره.

ثم المترتب على الوفاء بعهد الله وعدم نقض الميثاق هو الوفاء بعهود الرسل وسائر خلق الله، وسائر العهود الفرعية مع الله، فالناهض بما يتوجب عليه في عهد الله، ناهض بكافة المتطلبات في عهود الشرعة الإلهية، قاعدة رصينة متينة تتكفل الحفاظ على سائر العهود المنبثقة عن العهد الأوّل.

إن واجب الوفاء بالعهد - أياً كان - ومحرّم نقض الميثاق - أياً كان - لهما دورهما الهام في القرآن، فقد نهى الله عن نقضه أشد النهي، وقدّم فيه أشد التقدمة، وذكره في بضع وعشرين آية، نصيحة لكم، وتقدمة إليكم وحجة عليكم، وإنما تعظم الأمور بما عظمها الله عند أهل الفهم وأهل العقل وأهل العلم بالله، وقد يروى أن نبي الله ﷺ قال: «لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له»[1].

وكلما كان المعهود له أعظم ومادة العهد أضخم وأتم، فواجب الوفاء به وحرمة نقضه أهم، على اشتراك العهود المشروعة في واجب الوفاء وحرمة النقض.

﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾﴾:

(١) الدر المنثور ٤: ٥٦ - أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن قتادة في الآية عنه ﷺ.

﴿مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ ليست لتختص بصلة الرحم وإن كانت من أوسط مصاديقها، «فلا تكونن ممن يقول للشيء أنه في شيء واحد»[١].

إنه كل صلة مأمور بها في شرعة الله، أصلية وفرعية، عقائدية وعملية، فردية وجماعية أمّاهيه؟ ومن أصول الصلات صلة الله معرفياً، ومن أصولها هنا عملياً الصّلاة فإنها خير الصلات، ثم صلة الرسول ﷺ والمعصومين من عترته، ومن ثم العلماء الربانيين، ثم المؤمنين الأقارب منهم والأغارب، وفي كل هذه الحقول صلات روحية هي الأصيلة وأخرى سواها، وعلى هامشها من صلات الإنفاقات الواجبة والمندوبة كما أمر الله.

صلات في مقال وحال وفعال حيث الجمع بينها هو الكمال، فصلة المقال دون حال أو فعال، نفاق وإدغال، وصلة الحال دون ظاهرة في فعال هي غير واصلة إلى القلب ولا إلى من يوصل، وهما دون قال قد تكون محبورة مشكورة كعبادات السر، أم مرجوحة لا مشكورة ولا ممنوعة كعبادات العلن، وكل يقدّر كما أمر الله.

وفيما يعد قطع ما أمر الله به أن يوصل إفساداً في الأرض، دلالة قاطعة على عموم فرض الصلة دونما اختصاص برحم وغير رحم، فإنما هو من مصاديقها في جو العائلة تبيناً لرباط عريق فيها، فإنها تتبنى الجماعة الصالحة ككلّ.

لذلك ترى آية اللعنة على تارك الصلة تتأخر عن خشية الرب والخوف من سوء الحساب، والصبر ابتغاء وجه الرب، وإقام الصلاة، والإنفاق مما

(١) نور الثقلين ٣: ٤٩٤ ح ٨٤ بإسناده عن عمر بن يزيد قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ [الرّعد: ٢١] فقال: نزلت في رحم آل محمد ﷺ وقد يكون في قرابتك ثم قال: فلا تكونن...

رزقوا سراً وعلانية، ودرء للسيئة بالحسنة، مما يبرهن أن ذلك كله مصاديق صادقة لواجب الصلة.

ولأن ميثاق الله يعم كل المواثيق فالصلة هي الصلة في كل المواثيق التي تخلّف نقضها اللعنة وسوء الدار وإفساداً في الأرض كما هنا، والخسران كما في أخرى: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[١].

ومن ألعن القطع في الصلات قطع صلة الولاية عن الله إيماناً وقطع الصلاة، ثم الانقطاع عن صلة الرسالة بالرسول ﷺ وصلة بالإمامة بالأئمة عليهم السلام وصلة الولاية عن ولاة الأمر العدول بعدهم، وصلة المؤمنين ككل ولا سيما الأرحام حتى غير المؤمنين منهم، كما وهي صلة كل ولي بالمولّى عليه، فهي - إذاً - صلة ذات بعدين في كافة الحقول.

قد يروى «هي رحم آل محمد ورحم كل مؤمن»[٢] «وهي تجري في كل رحم»[٣] كما روي «فلا تكونن ممن يقول للشيء أنه في شيء واحد» مما يعمم الصلة إلى كل الحقول كما عممتها آيات الصلة.

وفي الحق إن الشرعة الإلهية في صيغة مختصرة محتصرة ليست إلّا صلات في واجبات ومندوبات، وانفصالات عن محرمات ومكروهات، وبينهما متوسطات المباحات، وهذه الخمسة تعم الأقوال والأحوال والأفعال في كل وصال وفصال.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٧.

(٢) نور الثقلين ٣: ٤٩٥ في تفسير العياشي عن العلا بن الفضيل عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الرحم معلقة بالعرش يقول اللهم صل من وصلني واقطع من قطعني وهي رحم آل محمد ورحم كلّ مؤمن وهو قول الله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ [الرّعد: ٢١].

(٣) المصدر ج ٨٩ عن محمد بن الفضل قال: سمعت العبد الصالح يقول الذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل «قال: هي رحم آل محمد معلقة بالعرش يقول: اللهم صل من وصلني واقطع من قطعني وهي تجري في كلّ رحم.